مجلة المجمع العلمي العربي

( دمشق ) آب : سنة ١٩٢٩ م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٨ هـ

# عبد الحميد الكاتب (١)

## منشؤه واصله

هو عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري من عامر بن لؤي . ولؤي ينتهي اليه عدد قريش وشرفها ومن ولده عامر بن لؤي وولده حسل ومعيص . وقد قيل في نسبه انه عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب . ومعظم الروايات ترجح ان والده كان من الموالي . واذا صح ذلك كان من اصل غير عربي . اللهم الا اذا ثبتت سلسلة نسبه التي انتهت بابن عامر بن لؤي بن غالب . وفي رواية ان جده من سبي القادسية يتلون عامر بن لؤي . وان كان اصله من سبي القادسية فهو فارسي الاصل لا محالة . واذا قلنا بانه من اصل فارسي فيكون جده انضم الى عامر بن لؤي ، وقد ينضم الرجل الى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينتسب اليهم . والاصطخري يقول ان عبد الحميد كان ممن يصلح من الفرس للدواوين من الكتاب والعمال والادباء . وكان له في بني أمية ولاء ينسب اليهم فنسبته الى عامر نسبة ولاء اذاً .

وانت تعلم ان المولى عند العرب دون الحر الصريح ، وفوق العبد الرقيق في المرتبة . والمولى كالقريب ينزل منزلة ابن العم يجب على صاحبه ان ينصره و يرثه اذا مات ولا وارث

(١) المحاضرة التي ألقاها الاستاذ السيد محمد كرد علي في ردهة المجمع العلمي العربي بتاريخ ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٨ م .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

له ، ومنه حديث الزكاة « مولى القوم منهم » والمولى هو الصاحب والقريب والجار والحليف والجمع موالي . ويكون المولى مولى عتاقة ومولى تباعة ، فمولى العتاقة هو الذي يكون عبداً او اسيراً فيعتقه صاحبه فيصبح المعتَق للمعتِق مولىً . ومولى التّباعة هو من يصطنع او يحالف اي يستتبع . ومن الولاء ايضاً مولى الرحم من يتزوج في قبيل فينسب الى قبيلهم . ودية المولى نصف دية الحر وكذلك حكمه في العقوبات يناله منها نصف ما ينال الحر . اما في المواريث فمولى العتاقة يورث مولاه ولا يرث منه ، ومولى التّباعة لا يرث ولا يورّث . وحكم مولى الرحم كحكم الاحرار يرث و يورّث .

وكان الموالي في الجاهلية من اجناس ونحل مختلفة ، فلما كان الاسلام أصبح غير المسلمين ذمة . وكانت في الجاهلية دية المولى وهو الحليف خمساً من الابل ودية الصريح عشراً . والصريح الخالص النسب . والولاء بفتح الواو القرابة ، و بالكسر ميراث يستحقه المرء بسبب عتق شخص في ملكه او بسبب عقد الموالاة . اذا عرفت هذا فليس أمامك مايمنع من ان تجعل عبدالحميد من اصل عربي وان كان جده مولى تباعة لا مولى عتاقة كأن يكون قد تزوج من بني عامر وانضم اليهم بسبب . هذا على شرطة ضعف الرواية القائلة بان أجداده من سبي القادسية . وهناك تكون الفارسية أعلق ببيته من شعرات قصه .

وكان بنو أمية كثيراً ما يعتمدون على الموالي في كتابتهم ودواوينهم ، فلم تمنعهم اصولهم من تولي أهم مناصب الدولة . فقد ذكر ابن جرير الطبري ان من كتاب معاوية مولاه عبد الرحمن بن درّاج . وكان على ديوان الرسائل لعبدالملك بن مروان ابوالزعيزعة مولاه ، وكتب للوليد على ديوان الخاتم شعيب العماني مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلات نُفَيع بن ذؤيب مولاه . وكان يكتب لمسلمة سميع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن ابي رقية مولى الحكم بنت ابي سفيان وعلى ديوان الخاتم نُعيم ابن سلامة مولى لاهل اليمن من فلسطين . وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن ابي فروة مولى أم الحكم بنت ابي سفيان وكتب له اسماعيل بن ابي حكيم مولى الزبير . وكتب للوليد بن يزيد على ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك وكان عمرو ابن الحارث مولى بني جُمَح يتولى ليزيد بن الوليد الناقص ديوان الخاتم — وكان من الموالي على ديوان الرسائل لمروان بن محمد عثمان بن قيس مولى خالد القسري .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

## أدبه وتأديبه

لا جرم ان ما اتصل بنا من اخبار عبد الحميد لم تصور لنا منه صورة صحيحة تامة ، فما عرفنا مولده ولا البلد الذي ولد فيه من بلاد الشام ، ولا نوع دراسته وأساتذته . ولكننا عرفنا انه شامي عاصر بعض الخلفاء من الأمويين ممن أقاموا العدل ، ودوّخوا البلاد وعمروها بالاحسان ، وكانوا أمة وحدهم في الخير وفي دمهم انتقلت سياسة الملك وحكم الرعية . مثل سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك . و يقول ابن خلكان ان عبد الحميد كان من اهل الأنبار وسكن الرقة فان صحت روايته كان عراقياً غير شامي . وأطلق عليه ابن عبد ربه اسم عبد الحميد الاكبر وعده ممن نبل بالكتابة وكان قبل خاملاً وقال انه كتب لعبد الملك بن مروان وليزيد ثم لم يزل كاتباً لخلفاء بني أمية حتى انقضت دولتهم . وفي هذا القول نظر لان عبد الملك تولى سنة خمس وستين وتوفي سنة ست وثمانين فلا تكون سن عبد الحميد يوم مقتله اقل من سبعين او خمس وسبعين وهذا ينافض ماسيمر بك من انه غمز عليه سنة ١٣٢ وهو عند ابن المقفع ولم يعرف الموكلون بالقبض عليه ايهما عبد الحميد ، وابن المقفع اذ ذاك كان دون الثلاثين من العمر فلا يعقل الا ان يكون صاحب الشرطة العباسي عارفاً على الأقل بان صاحبه شيخ هرم . ونميل الى ان عبد الحميد كتب اولاً لهشام بن عبد الملك الذي ولي سنة ١٠٥ ومات سنة ١٢٥ ثم لمروان .

والارجح ان عبد الحميد تخرج بالكتابة بسالم مولى هشام وكاتبه وكان سالم ختنه اي صهره زوج اخته ، وكان سالم احد الفصحاء البلغاء ، وقد نقل رسائل ارسطاليس الى الاسكندر ونُقل له وأصلح هو ، ولسالم رسائل مجموعة في نحو مائة ورقة . و بهذا يقال ان عبد الحميد اخذ عن رجل بليغ يعرف الاستخراج من ادب اليونان وسياستهم . ولم يثبت انه كان يعرف اليونانية كما وهم بعض أساتذة العصر ، وربما شذا شيئاً من الارمنية مذة مقامه في ارمينية كاتباً لمروان . والارمنية قلما تفعته في تكوين ملكته . وارمينية كانت في انحطاط ، بيد انها لم تأت في باب المدنيات ، ولا في عصر من عصورها بشيء يقرب من المدنية الفارسية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتب عبد الحميد قليلاً عن هشام بن عبد الملك كما عرف من رسالة كتبها عن هشام الى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمن ، وقد كان على اليمن منذ سنة ١٠٧ اي ان ديوان هشام كان المدرسة الاولى التي تخرج باساتذتها عبد الحميد في علوم الانشاء . الا اذا صح انه كتب من قبل لعبد الملك بن مروان وهو بعيد . ويمكن ان يقال من ثم انه كان من اول نشأته على اتصال مع من يعرف الخلفاء ، وما يقتضي لخدمة الحكومات من الأدوات . وذكروا انه حدث عن سالم بن هشام ولعله سالم مولى هشام وحدّث عنه خالد بن برمك .

وقالوا ان عبد الحميد كان في حداثته معلماً في الكوفة ، ولعله مرن على حفظ مسائل كثيرة من تأديبه الاطفال زمناً . والمؤدبون كانوا طبقة راقية في القرون الاولى للاسلام ؛ لان المرء لا يضع في الرجل ثقته ويلقي اليه بمقاليد ابنه الا اذا آنس منه كفاءة وحسن اخلاق . وكانت الكوفة لما القى بها عصا الترحال لاول امره محط رحال رجال العلم في الدين واللغة والنحو والصرف ، ولاشك انه ثافن اهل البلاغة فيها وأخذ عنهم ، وهناك حدث له غرام بمثل كلام علي ابن ابي طالب ، فقد سئل ما الذي خرجك في البلاغة فقال : حفظ كلام الاصلع يعني علي ابن ابي طالب . وكانت الكوفة من البلدان التي احبها امير المؤمنين واحب اهلها واحبوه .

وفي زمن لم نتثبته كثيراً اتصل بمروان بن محمد وهو والٍ على ارمينية يحارب الخارج فيها على الخلافة ، فكتب عنه وحظي عنده ، وانقطع اليه ، ولما عقدت البيعة لمروان في الشام سجد مروان واصحابه شكراً لله . الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا سجدت . فقال : ولِمَ اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا بعني بالخلافة . فقال : اذاً تطير معي فقال : الآن طاب السجود وسجد . وكان كاتب مروان طول خلافته .

ترى هل يكون الاختلاف في نسب عبدالحميد سبباً يدعونا الى ان نرجح ان اجداده كانوا من سبي القادسية . والاحجى ان يقال سواء صحت هذه النسبة ام لم تصح ، بانه تأثر لا محالة بعادات الفرس وعرف اساليبهم في الكتاب والخطاب . يؤيد ذلك ماورواه ابو هلال العسكري قال : « فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى امكنه فيها من صنعة الكلام ما امكنه في الاولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحوّلها الى اللسان العربي » . وعلى كل فإن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجال الذي جال فيه عقل عبد الحميد كان فسيحاً بالنسبة لعصره واهل طبقته ، وكان من اتصل بهم قبل ان يلي الكتابة عن الخليفة جماعة من المنظور اليهم في الامة . ولهذا ولغيره اي لمولده في الشام وتنقله في البلاد دخل كبير في اتساع عقله وتجاربه .

* * *

## أخلاقه وعاقبة امره

كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية يعد من أعاظم رجال الأمويين شهامة وحزماً وادباً ، وكان يحب عبد الحميد حباً جماً ، ويرفع منزلته بين الكتاب والعمال « ولا يرى الدنيا الا به » لعلمه بنبوغه وتفرده في صناعته ، وذهابه بفضل البلاغة وما ينبغي لها ، حتى عرض عليه لما أيقن ان امره أدبر ، وهزائمه تواترت ، وسلطانه صائر الى الزوال ، ان يكون مع اعدائه لتسلم حياته ، قائلاً انا نجد في الكتب ان هذا الامر زائل عنا لا محالة ، وسيضطر اليك هؤلاء القوم يعني ولد العباس لأدبك ، وان إعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك ، فاستأمن اليهم ، واظهر الغدر بي ، فلعلك تنفعني في حياتي او بعد مماتي . فقال له : وكيف لي بان يعلم الناس جميعاً ان هذا عن رأيك ، وكلهم يقول اني غدرت بك وصرت الى عدوك . وأنشد :

وذنبي ظاهر لا شك فيه لمبصره وعذري بالمغيب

وأنشد ايضاً :

امر وفاء ثم أظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين : ان الذي امرني به أنفع الامرين اليك ، وأقبحهما بي ، ولكني اصبر حتى يفتح الله عليك او أقتل معك . وهكذا تجلت في عبد الحميد فضيلة الوفاء العربي ، فآثر ان يقتل مع صاحبه على ان يتخلى عنه يوم الكريهة والشدة . وتجلت فيه خلة الشجاعة والاعتقاد بالأقدار فهو الرجل الذي شارك سيده في سعادته وبلائه .

وربما كان عبد الحميد ينجو من الهلاك بايدي العباسيين لو سار بسيرة غيره من رجال مروان ، ان صح ما روي من انه لما زال امر مروان اتى المنصور بخواص مروان ، وفيهم عبد الحميد والبهلبكي المؤذن وسلام الحادي فهمّ بقتلهم جميعاً فقال سلام : استبقني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يا امير المؤمنين فاني احسن الحداء . قال : وما بلغ من حدائك . قال : تعمد الى إبل فتظمئها ثلاثة ايام ثم توردها الماء ، فاذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء ، فترفع رؤوسها وتدع الشرب ، ثم لا تشرب حتى أسكت . فأمر المنصور بابل ففعل بها ذلك فكان الأمر كما قال ، فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه . وقال له البعلبكي : استبقني يا امير المؤمنين فاني مؤذن منقطع القرين قال : وما بلغ من أذانك . قال : تأمر جارية فتقدم اليك طستاً ، وتأخذ بيدها ابريقاً ، وتصب الماء على يدك . فأبتدئ بالأذان فتدهش ويذهب عقلها اذا سمعت أذاني ، حتى تلقي الابريق من يدها وهي لا تعلم ، فامر المنصور جارية ففعلت ذلك واخذ البعلبكي الأذان فكانت حالها كما وصف . وقال عبد الحميد : ياامير المؤمنين فاني فرد الزمان في الكتابة والبلاغة . فقال : ماعرفني بك ، انت الذي فعلت بنا الأفاعيل ، وعملت لنا الدواهي . وامر به فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه . و يروى انه سلمه الى عبد الجبار فكان يحمي له طستاً ويضعه على بطنه حتى قتله .

واختلفوا في مقتل عبد الحميد فاليعقوبي يقول انه تخلف بمصر واستتر حتى دُل عليه صالح بن علي . وزاد غيره انه لما انهزم اختبأ في كنيسة في بوصير من ارض مصر وقال آخرون : انه استخفى بالجزيرة عند عبد الله بن المقفع فغمز عليه وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا : أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما انا خوفاً على صاحبه . واوشك الجند ان يقتلوا ابن المقفع ، لولا ان صاح بهم عبد الحميد قائلاً ترفقوا بنا ، فان لكل منا علامات ، فوكلوا بنا بعضكم وليمض البعض الآخر الى من وجّهكم فيذكر له تلك العلامات ففعلوا وأخذوا عبد الحميد .

وفي رواية ان عبد الحميد لم يختبئ في الجزيرة عند ابن المقفع بل قبض ساعة قتل مولاه مروان ، وان عامر بن اسماعيل المسلمي لما قتل مروان ظفر بعبد الحميد كاتبه فعرض عليه رؤوس القتلى ، لانه قتل في ستة او سبعة من خواصه ، وكانوا معه فعرّفه رأسه وحمل عبد الحميد الى ابي العباس ، فسلمه الى عبد الجبار صاحب شرطته فقتله . وهنا ايضاً اضطراب في رأي من ترجموا لعبد الحميد في نهاية امره ، كما وقع الاختلاف في اصله ، ولم يعقل انه تخلف عن سيده في الجزيرة والارجح انه قتل في مصر .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

## بلاغته وأسلوبه

كان عبد الحميد على ما قال صاحب العقد الفريد اوّل من فتق اكمام البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر . ضربت الأمثال ببلاغته وقد أشار البحتري الى ذلك في قصيدته الى محمد بن عبد الملك قال :

وثقفت في البلاغة حتى عطل الناس فن عبدالحميد

وقال ابن الرومي لابي الصقر :

لو ان عبدالحميد اليوم شاهده لكان بين يديه مذعناً وسنا

وقال ابن اسفنديار الكاتب :

وهو في الحذق والبلاغة في النـ ـطفيل عَبد الحميد في الكتاب

وقال ابو اسحق الصابي :

أنسيتم كتباً شحنت فصولها بفصول درٍّ عندكم منضود
ورسائلاً نفذت الى اطرافكم عبد الحميد بهن غير حميد

وقال ابراهيم بن عباس الصُّولي وقد ذكر عبد الحميد عنده : كان والله الكلام معاناً له ، ماتمنيت كلام احد من الكتاب قط ان يكون لي مثل كلامه . جاء عبدالحميد بطريقة جديدة في الكتابة العربية ، شرعها لكل من يحمل القلم بعده ، فنقل الانشاء من طور الى طور لم يكد يتغير حتى عهد ابن العميد ، ولذلك بحق ماقالوا افتتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

وتعلمون انه قلما عهد التطويل في الرسائل على عهد الراشدين والأمويين ، فكانت تأتي رسائلهم على الأغلب في السطر والسطرين والثلاثة . وفي رسائل عمر بن عبدالعزيز أواخر المئة الاولى نموذج ظاهر من هذا الأسلوب العجيب ، واذا طالت الرسالة كما هو الحال في الرسالة المنسوبة لعلي بن ابي طالب الى الأشتر النخعي فانها تكون بمثابة قانون يضعه الخليفة للادارة والسياسة والقضاء اي تحتوي على أغراض شتى لاتتسع لها السطور القليلة . فجاء عبدالحميد وابتدع أسلوبه الجديد الخاص به ، وكان ذلك عقبى تشعب أغراض الخلافة ، وامتداد عمرانها ، وانبساط ظل سلطانها ، فعبد الحميد نهج للكتاب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سبل الانشاء ، واعلى في العالمين ذكرهم وشرّف صناعتهم ، وكانت قبله في الغالب لا تعد عملاً شريفاً من أعمال الدولة ويتولاها على الأغلب الموالي ومن اليهم . فوقر هذا الفن الصعب في النفوس حتى كانت جودة الانشاء تنقل صاحبه من دواوينه الى ارقى دواوين الملك ، فكان لا يلي الوزارة غالباً الا من بعد في الذروة من طبقة الكتاب .

كان عبد الحميد اول من أطال الرسائل ، واستعمل التحميدات في فصول الكتب فتابعه الناس على طريقته . والتحميد حمدك الله عز وجل مرة بعد مرة ، وكثرة حمد الله سبحانه بالمحامد الحسنة وهو أبلغ من الحمد . وربما سبق عبدالله ابن المقفع الى التحميدات ولكنها لم تشتهر كما اشتهرت من ديوان عبد الحميد ، وهو ديوان الخلافة يتناقل الناس عنه اكثر مما يتناقلون عن غيره .

ولم يكن عبد الحميد يطيل كل مرة في رسائله ، بل يطيل مرة ويوجز مرات ، لكنه الى التطويل اميل . فصاحب هذا الانتقال في الكتابة حافظ على ايجازها ما امكن ، لكن الزمان اقتضاه احياناً الاسهاب ، فأسهب وأجاد في الطريقتين ، خصوصاً اذا كانت الحال تقتضي ذلك ، مثل كتابه الى ابي مسلم الخراساني الذي كتبه على لسان محمد بن مروان لما ظهر ابو مسلم بدعوة بني العباس ، فكتب كتاباً يستميله ويضمنه ما لو قرئ لأوقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم ، وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ، ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فإن يك ذلك والا فالهلاك . فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه ، وامر بنار فأحرقه ، وكتب على جزازة منه الى مروان :

محا السيف اسطارَ البلاغة والتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب
فان يقدموا نُعمل سيوفاً شحيذةً يهون عليها العتب من كل عاتب

وقالوا ان من جملة فقرات هذا الكتاب « اذا أراد الله اهلاك نملة انبت لها جناحين » ومعنى قول الراوين ان كتابه من كبر حجمه حمل على جمل انه كان مكتوباً على رقّ . وفي الرقوق تكتب الاسطر القليلة على الأغلب . وربما دعت كثرة الرقوق التي تضمنت هذا الكتاب ان لا ينهض رجل بحملها بل حملت لثقلها على جمل . وليس في هذا التطويل المأثور عن عبد الحميد من عيب لان البلاغة تقضي بذلك . فقد قال ابن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قتيبة : وليس يجوز لمن قام مقاماً في تحضيض على حرب ، او حمالة بدم ، او صلح بين عشائر ، ان يقلل الكلام و يختصره ، ولا لمن كتب الى عامة كتاباً في فتح او استصلاح ان يوجز . ولو كتب كاتب الى اهل بلد في الدعاء الى الطاعة ، والتحذير عن المعصية ، كتاب يزيد بن الوليد الى مروان حين بلغه عنه تلكؤه في بيعته ( اما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على ايهما شئت والسلام ) لم يعمل هذا الكلام في انفسها عمله في نفس مروان . لكن الصواب ان يطيل و يكرر ، و يعيد و يبدي ، و يحذر و ينذر اه . وهكذا جرى عبد الحميد في رسالة ابي مسلم الخراساني ، فأطال وحمدت اطالته ، كما أطال في نصيحته الى عبد الله ولي عهد مروان فقد كتب كتابه هذا في نحو ثلاثين صفحة من الصفحات المتوسطة فوضع ببيانه الرائع خططاً حربية وطرقاً جديدة في النظام والادارة والسياسة ، وقواعد مهمة في التربية ولا سيما في تربية الملوك والعظماء ، واصولاً كلية في علم النفس والعادات المستحبة ومعاملة المرؤوسين وطلاب الحاجات وارباب السعايات واصحاب الاخبار .

## نموذجات من مختصر رسائله

واذا جئنا نتعرف عبدالحميد في مطالبه وحاجاته ، وشفقته على نفسه وولده ورحمه ، فلدينا مما ابقت الايام عليه من رسائله نموذجات يتجلى لنا فيها روحه ، منها ما كتبه الى مروان في حاجة : « ان الله بنعمته عليّ لما رزقني المنزلة من امير المؤمنين جعل معها شكرها مقروناً بها ، فهي تنمي بالزيادة ، والشكر مصاحب لها ، فليست تدخلني وحشة من ابناء حاجتي ، وانا اعلم انه لو وصل الى امير المؤمنين علم حالي اغناني عن استزادته ، ولكني تكلفتني مؤن استنفضت ما في يدي ، وكنت للخلف من الله منتظراً ، فاني انما انقلب في نعمه ، وأتمرغ في فوائده ، وأعتصم بسالف معروفه كان عندي » .

ومنها ما أنشأه الى اخٍ له في مولود ولد له وهو اول مولود كان : « اما بعد فان مما أنعم من مواهب الله نعمة خصصت بميزتها ، واصطفيت بخصيصتها ، كانت أمرّ لي من هبة الله لي ولد أسميته فلاناً ، واملت ببقائه بعدي حياة وذكرى ، وحسن خلافة في حرمي ، واشراكه اياي في دعائه ، شافعاً لي الى ربه ، عند خلوته في صلاته وحجه ، وكل موطن من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مواطن طاعته ، فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدي ، وظهر به سروري ، وتعطفت عليه مني أنسة الولد ، وتولت عني به وحشة الوحدة ، فانا به جذل في مغيبي ومشهدي ، أحاول مس جسده بيدي في الظُّلَم ، وتارةً أُمانقه وأُشفه ، ليس يعدله عندي عظيمات الفوائد ولا منفسات الرغائب . سرني به واهبه لي على حين حاجتي ، فشد به أزري ، وحملني من شكره فيه ما قد آدني بثقل حمل النعم السالفة اليّ به ، المقرونة سراؤها في العجب بما رأت ما يدركني به من رقة الشفقة عليه ، مخافة مجاذبة المنايا اياه ، ووجلاً من عواصف الايام عليه . فأسأل الله الذي امتن علينا بحسن صنعه في الأرحام ، تأديبه بالزكاة وحرسه بالعافية ، ان يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفي غيره ، وان يجعل ما يهب لنا من سلامته ، والمدة في عمره ، موصولاً بالزيادة ، مقروناً بالعافية ، محوطاً من المكروه ، فانه المنان بالمواهب ، والواهب للمنى ، لا شريك له . حملني على الكتاب اليك لعلم ما سررت به علمي بحالك فيه ، وشركتك اياي في كل نعمة أسداها اليّ ولي النعم ، واهل الشكر اولى بالمزيد من الله جلّ ذكره والسلام عليك » .

ومنها ما انفذه الى اهله وهو منهزم مع مروان من فلسطين وهو آخر حرب ومواقعة كانت له . وكانوا ينزلون بالقرب من الرقة بموضع يعرف بالحمراء يعزيهم عن نفسه « اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، وجعل فيها اقساماً مختلفة بين اهلها ، فمن درت له بحلاوتها وساعده الحظ فيها ، سكن اليها ورضي بها وأقام عليها ، ومن قرصته باظفارها وعضته بانيابها ، قلاها نافراً عنها ، وذمها ساخطاً عليها ، وشكاها مستزيداً لها ، وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا[1] موليـة ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الاوطان ، وفرقتنا عن الاخوان ، فالدار نازحة والطير بارحة . وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً ، واليكم صبابة ووجداً ، فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وان يلحقنا ظُفُر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الإسار ، والذل شر جار ، نسأل الله الذي يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ان يهب لنا ولكم ألفة جامعة ، في دار آمنة ، تجمع سلامة الأديان والأبدان ، فانه رب العالمين وارحم الراحمين » .

(١) رفستنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي رواية انه ختم هذه الرسالة هكذا : « فدارنا نازحة ، وطيرنا بارحة ، قد اخذت كل ما اعطت ، وتباعدت مثل ما تقربت ، واعقبت بالراحة نصبا ، وبالجذل هما ، وبالامن خوفاً ، وبالعز ذلاً ، وبالجدة حاجة ، وبالسراء ضراء ، وبالحياة موتاً ، لا ترحم من استرحمها ، سالكة بنا سبيل من لا أوبة له ، منقطعين عن الاولياء ، مقطوعين عن الاحباء . »

ومن رسائله المختصرة ما كتبه عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه . « ان الله تعالى امتع امير المؤمنين من انيسته وقرينته ، متاعاً مده الى اجل مسمى ، فلما تمت له مواهب الله وعاريته ، قبض الله العارية ، ثم اعطى الله امير المؤمنين من الشكر عند بقائها . والصبر عند ذهابها ، انفس منها في المنقلب ، وارجح في الميزان ، واسنى في العوض ، فالحمد لله وانا اليه راجعون » .

وكتب موصياً بشخص وهي من مختصراته « حق موصل كتابي اليك كحقه عليّ ، اذ جعلك موضعاً لامله ، ورآني اهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصدق امله » .

وكتب عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن في السلامة « اما بعد فان امير المؤمنين كتب اليك وهو في نعمة الله عليه ، وبلائه عنده في ولده واهل بيته والخاص من اموره والعام والجنود ، والقواصي والثغور ، والدهماء من المسلمين . على ما لم يزل ولي النعم يتولاه من امير المؤمنين ، حافظاً له فيه ، ومكرماً له بالحياطة لما الهمه الله فيه من امر رعيته ، وعلى اعظم واكمل ما كان يحوطه فيه ، ويذب له عنه . والله محمود مشكور اليه فيه مرغوب . أحب امير المؤمنين لعلمه بسرورك به ، ان يكتب اليك بذلك لتحمد الله عليه وتشكره به . فان الشكر من الله باحسن المواضع وأعظم المنازل ، فازدد منه تزدد به ، وحافظ عليه تحفظ به ، وارغب فيه يهد اليك مزيد الخير ونفائس المواهب وبقاء النعم . فاقرأ على من قبلك كتاب امير المؤمنين اليك ، ليسر به جندك ورعيتك ، ومن حمله الله النعم بامير المؤمنين ليحمدوا ربهم على ما رزق الله عباده من سلامة امير المؤمنين في بدنه ، ورأفته بهم ، واعتنائه بامورهم ، فان زيادة الله نعلو شكر الشاكرين والسلام » .

ومن رسالة كتب بها عن مروان لفرق العرب ، حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية . « فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية ، من يد الفئة العجمية ، واثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة ، وتصحو من هذه السكرة ، فسينضب السيل ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتمحى آية الليل ، والله مع الصابرين ، والعاقبة للمتقين » .

ومن رسائله المفردات رسالته في الشطرنج والتنفير من اللعب به : « اما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبله ، وايضاح معالمه باظهار فرائضه ، وبعث رسله الى خلقه ، دلالة لهم على ربوبيته . واحتجاجاً عليهم برسالاته ، ومقدماً اليهم بانذاره ووعيده ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة ، ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وحيه ، وقفى به رسله ، وابتعثه لاحياء دينه الدارس مرتضياً له ، على حين انطمست له الاعلام مختلفية ، وتشتت السبل متفرقة ، وعفت آثار الدين دارسة ، وسطع رهج[1] الفتن ، واعتلي قتام[2] الظلم ، واستنهد[3] الشرك ، واسدف[4] الكفر ، وظهر اولياء الشيطان لطموس الاعلام ، ونطق زعيم الباطل بسكتة الحق ، واستطرف الجور واستنكح[5] الصدوف عن الحق ، واقمطر[6] نلهب الفتنة ، واستضرم لقاحها ، وطبقت الارض ظلمة كفر ، وغيابة فساد ، فصدع بالحق مأموراً ، وبلغ الرسالة معصوماً ، ونصح الاسلام واهله دالاً لهم على المراشد ، وقائداً لهم الى الهداية ، ومنيراً لهم اعلام الحق ضاحية[7] ، مرشداً لهم الى استفتاح باب الرحمة ، واعلان عروة النجاة ، موضحاً لهم سبل الغواية زاجراً لهم عن طريق الضلالة محذراً لهم المهلكة موعزاً اليهم في التقدمة ضارباً لهم على الحدود على ما يتقون من الامور ويخشون وما اليه يسارعون ويطلبون صابراً نفسه على الاذى والتكذيب داعياً لهم بالترغيب والترهيب حريصاً عليهم متحنناً على كافتهم عزيزاً عليه عنتهم[8] رؤفاً رحيماً تقدمه شفقته عليهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم وسلامة اديانهم وتخفيف اواصر الاوزار عنهم حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه ناصحاً متنصحاً اميناً مأموناً قد بلّغ الرسالة وادى النصيحة وقام بالحق وعدل عمود الدين حتى اعتدل ميله وذل الشرك واهله وأنجز الله له وعده واراه صدق اسبابه في اكماله للمسلمين دينه واستقامة سننه فيهم وظهور

(١) الرهج الشغب او الغبار . (٢) القتام كسحاب الغبار . (٣) استنهد طلب ان ينهض . (٤) اسدف الليل اظلم . (٥) استنكح غلب . (٦) اقمطر اشتد . (٧) ضاحية علانية . (٨) يقال وقع فلان في العنت اي فيما شق عليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شرائعه عليهم قد ابان لهم موبقات الاعمال ومفظعات الذنوب ومهبطات الأوزار وظلم الشبهات وما يدعو اليه نقصان الاديان وتستهويهم به الغوايات واوضح لهم اعلام الحق ومنازل المراشد وطرق الهدى وابواب النجاة ومعالق العصمة غير مدخر لهم نصحاً ولا مبتغ في ارشادهم غنماً .

فكان مما قدّم اليهم فيه نهيه ، وأعلمهم سوء عاقبته ، وحذرهم امره ، وأوعز اليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً ، الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج والمواصلة عليها لما في ذلك من عظيم الاثم ، وموبق الوزر ، مع مشغلتها عن طلب المعاش ، وأضرارها بالعقول ومنعها من حضور الصلوات في مواقيتها مع جميع المسلمين .

« وقد بلغ امير المؤمنين ان أناساً ممن قبلك من اهل الاسلام ، قد الهجهم الشيطان بها ، وجمعهم عليها ، والف بينهم فيها ، فهم معتكفون عليها ، من لدن مصيحهم الى ممساهم ، ملهية لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم ، وافترض عليهم من شرائع أعمالهم ، مع مداعبتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها ، وان ذلك من فعلهم ظاهر في الاندية والمجالس ، غير منكر ولا معيب ، ولا مستفظع عند اهل الفقه ، وذوي الورع والأديان والاسنان منهم ، فاكبر امير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره ، وعلم ان الشيطان عندما يئس من بلوغ ارادته في معاصي الله عزّ وجل بمقر المسلمين ومجمعهم صُراحاً وجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة موبقة ، وغرهم بمكيدة حيَله ، ارادةً لاستهوائهم بالخدع ، واجتيالهم[1] بالشبه والمراشد الخفية المشكلة ، وكل مقيم على معصية الله صغرت او كبرت مستحلاً لها ، مشيداً بها ، مظهراً لارتكابه اياها ، غير حذر من عقاب الله عزّ وجل عليها ، ولا خائف مكروهاً فيها ، ولا رعيب من حلول سطوته عليها ، حتى تلحقه المنية فتختلجه[2] وهو مصر عليها غير تائب الى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه اياها . فكم قد أقام على موبقات الآثام ، وكبائر الذنوب ، حتى مد به مخرِم[3] ايامه .

---

(١) اجتالتهم الشياطين صرفتهم عن هداهم الى ضلالتها وفي الحديث خلق الله عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين . (٢) تنزعه . (٣) المخرم كمجلس المنقطع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« وقد أوجب امير المؤمنين ان يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم ، وان ينذرهم ويوعز اليهم ويعلمهم ما في أعناقهم عليها وما لهم في قبول ذلك من الحظ وعليهم في تركه من الوزر فآذن[1] بذلك فيهم وانشده في اسواقهم وجميع انديتهم واوعز اليهم فيه وتقدم الى عامل شرطتك في انهاك العقوبة لمن رفع اليه من اهل الاعتكاف عليها والاظهار للعب بها واطالة حبسه في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان امير المؤمنين وافطمهم عما نهجوا به من ذلك والتمس بشدتك عليهم فيه وانهاكك بالعقوبة عايه ثواب الله وجزاءه واتباع امير المؤمنين ورأيه ولا يجدن احد عندك هوادة[2] في التقصير في حق الله عز وجل والتعدي لاحكامه فتحل بنفسك ما تسوءك عاقبته وتتعرض به لغيرة الله عز وجل ونكاله واكتب الى امير المؤمنين ما يكون منك ان شاء الله والسلام » .

ولقد أدركتم رعاكم الله ان عبدالحميد في رسالته هذه أشبه الوعاظ والفقهاء بلهجته هنا فقد رأيناه يكسو كلامه حلة من حلل الزهد ، ويدخل مدخلاً دينياً اورد فيه البراهين على قضيته ، لينزع من النفوس حب التلهي بلعب يقطع صاحبه عن العمل ، وذكر لهم ان اللاعبين بالشطرنج يذكرون خلال لعبهم الفاظاً لا نليق بالالسن ان تلوكها ولا بالاسماع ان تنصت اليها ، وعرفنا من رسالته بعد هذا ان أناساً من المنظور اليهم من الفقهاء وغيرهم من الأئمة كانوا مولعين بهذا اللعب منذ اوائل القرن الثاني . جاءهم من العجم كما جاءهم العود وغيره من أدوات الطرب والتلهي .

ومن رسالة له في وصف الصيد كتب بها الى مروان فيما يظهر[3] :

« ... خرجنا الى الصيد بأعدى الجوارح ، وأثقف الضواري ، اكرمها اجناساً ، واعظمها اجساماً ، واحسنها الواناً ، واحدها اطرافاً ، واطولها اعضاءً ، قد تثقفت بحسن الادب ، وعودت شدة الطلب ، وسبرت اعلام المواقف ، وخبرت المجاثم ، مجبولة على ما عوّدت ، ومقصورة على ما أدبت . ومعنا من نفائس الخيل المخبورة الفراهة ، من

(١) آذن أعلم . (٢) هوادة لين ورفق . (٣) من كتاب اختيار المنظوم والمنثور استشهد بها الاستاذ محمد بهجة الاثري في كتابه المجمل في تاريخ الادب العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشهرية[١] الموصوفة بالنجابة ، والجري والصلابة . فلم نزل بأخفض سير وأثقف طلب ، وقد امطرتنا السماء مطراً متداركاً قربت الارض منه ، وزهر البقل ، وسكن القتام من مثار السنابك ، ومتشعبات الاعاصير ، مهلة ازمرنا غلوات ، ثم برزت الشمس طالعة ، وانكشفت ( من ) السحاب مسفرة ، فتلألأت الأشجار ، وضحك النوار ، وانجلت الابصار ، فلم نر منظراً أحسن حسناً ، ولا مرموقاً اشبه شكلاً ، من ابتسام نور الشمس عن اخضرار زهرة الرياض . والخيل تمرح بنا نشاطا وتجذبنا اعنتها انبساطا ثم لم نلبث ان علتنا ضبابة تقصر طرف الناظر وتخفي سبيل السلام تغشانا تارة وتنكشف أخرى ونحن بارض دمثة التراب أشبة[٢] الأطراف مغدقة الفجاج مملوءة صيداً من الظباء والثعالب والأرانب فأدانا المسير الى غاية دونها مألف الصيد ومجتمع الوحش ونهاية الطلب قد جاوزناها ونحن على سبيل الطلب ممعنون وبكل حرة[٣] جونة مئفرقون فرجع بنا العود على البدء وقد انجلت الضبابة وامتد النظر فاذا نحن برعلة من ظباء وخلفة آرام يرتعن آنسات قداحالتهن الضبابة عن شخصنا واذهلهن انيق الرياض عن استماع حسنا فلم نعج الا والضواري لائحة لهن من بعد الغابة ومنتهى نظر الشاخص ثم مدت الجوارح اجنحتها واجتذبت الضواري مقاودها فامرت بارسالها على الثقة بمحضرها وسرعة الجوارح في طلبها فمرت تحف حفيف الريح عند هبوبها تسف الارض سفاً[٤] كاشفة عن آثارها طالبة لخيارها حارشة[٥] باظفارها قد مزقتها تمزيق الريح الجراد فمن صائح بها وناعر وهاتف بها وناعق يدعو الكلب باسمه ويفديه بابيه وامه وراكض تحت مفره وخافق يطلبه الرمح وطامح يمنعه وسانح قد عارضه بارح قد حيرتنا الكثرة والهجتنا القدرة حتى امتلأت ايدينا من صنوف الصيد والله المنعم الوهاب .

ثم ملنا — ياأمير المؤمنين — بهداية دليل قداحكمته التجارب ، وخبرأعلام المذانب[٦] الى غدير افيح ، وروضة خضرة ، مستأجمة بتلاوين الشجر ملتفة بصنوف الخمر[٧]

---

(١) بكسر الشين ضرب من البراذين . (٢) أشبة ملتفة . (٣) ارض ذات حجارة سوداء . (٤) السفيف المرور على وجه الارض . (٥) صائدة . (٦) مسائل الماء .
(٧) الخمر الشجر المتكاثف والمستأجمة كثيرة الشجر الملتف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مملوءة من انواع الطير لم يذعرهن صائد ولا اقتنصهن . فانص نخفق لها بالطبول وصفر بنفير الحنف فثار منها ماملأ الأفق كثرتها وراعت الجوارح خفقات اجنحتها ثم انبرت البزاة لها صائدة والصقور كاسرة والشواهين ضارية يرفعن الطالب لها و يخفضن الظفر بها حتى سئمنا من الذبح وامتلأنا من النضح[1] كأنا كتيبة ظفرت ببغيتها وسرية نصرت على عدوها والحقت ضعيفها بقويها وغلبت محسنها بمسيئها لانملك انفسنا مرحاً ولا نستفيق من الجذل بها فرحا بقية يومنا والله المنعم الوهاب .

ثم غدونا — ياأمير المؤمنين — الى ارض وُصف لنا صيدها بالكثرة وريا ضها بالنزهة فزل واصفها عن الطريقة واعتمد بنا على غير الحقيقة فأتيناها فلم نر صيداً ولا عشبا ولا نزهة ولا حسنا فجعلنا نسلك منها حزوناً ووعورا وجدوباً وقفرا حتى قصر بنا اليأس عن الطلب وقطع بنا عن الطمع النصب . فبينا نحن كذلك اذ بدا لنا جأب[2] قد أوفى بنا على حائل دل على غابة من ورائها حمير وحش كثيرة فأممناها فلما تطرفنا مشيا وتقريبا الى عاناته[3] توالى نهيقه وكثر شهيقه فالتفتن اليه فرمقن بأعينهن منا ما استكثرن شخصه واستهولن امره حتى اذا كنا بمرأى ومسمع انجذبن موليات وهربن مسيئات فأجهدنا الركض في طلبهن نتبع آثارهن ونستشف بلاء بين احفار ودكادك[4] وأخاديد حتى اشفى بنا الطلب لها على واد هائل سائل بجنبتيه غابة أشبة قد سبقن اليها واستخفين فيها فنظمناها بالخيل نظم الخرز . ثم اوغلت عدة فرسان في تفضها ومعرفة احوالها والطبول خافقة والاصوات شاهقة فكان وكان والحمد لله على كل حال اه :

ومن رسالة له في الفتنة[5] : « ففي طاعة الامة في الاسلام ومناصحتهم على امورهم والتسليم لما أمروا به فهم كل نعمة فاضلة وكرامة باقية وعافية مجللة وسلامة ظاهرة

(١) النَّضح البلل . (٢) حمار وحشي . (٣) العانة الاتان والقطيع من حمر الوحش .
(٤) جمع دكدك وهي الارض فيها غلظ . والاخاديد جمع أخدود وهو حفرة مستطيلة في الأرض . (٥) مقتبسة من الجزء الرابع من كتاب التذكرة الحمدونية المخطوطة المحفوظة في دار الكتب العامة في الاستانة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وباطنة وقوة باذن الله مانعة وفي الخلاف لهم والمعصية عليهم ذهاب كل نعمة وتفرق كل كرامة ومحق كل قنية وهلاك كل سلامة وألفة وموت كل عز وقوة والدعاء بكل بلية ومقارفة كل ضلالة واتباع كل جهالة وإحياء كل بدعة وإماتة كل سنة واجلاب كل ضرر على الامة وإدبار كل منفعة والعمل بكل جور وباطل وفناء كل حق . وبمعصية خليفة الله لا يزال رجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي بيديه سيف اخيه الذي كان يعتمد عليه ويوهن عضده ويهدم حصنه ويفل عدده ويهلك ثروته ويعطب من يدعوه ويفزع اليه ويكثر بمكانه ويحرسه من غفلته عن الاعداء اذا غفل ويكون عيالاً له من خلقه فلا يزال بالمعصية منهم والاختلاف دم يهراق بغير حقه وطفل من ابناء المسلمين قد يتم من ابيه ومذلة قد دخلت عليه ونعمة قد زالت عنه ووحشة قد أحدثت ضغائن في القلوب قد نشبت وشحناء قد ظهرت وأوتار قد بقيت وعداوة في الانفس قد استقرت وخوف قد ظهر وسبل قد قطعت وامرأة قد أرملت وصبية قد يتمت . وبلاد عامرة قد خربت وعدد قد نقص وبلايا قد عمت وشملت وعدو قد شمت ومنافق قد رفع الى ما كان يؤمل رأسه وعدو من المشركين قد طمع وقوي بعد ضعف وعز بعد مذأة ورعية قد صاحت وناعية قد ولولت وحميم قد فقد حميمه ومودة قد صارت عداوة واجتماع من الاهواء قد عاد الى فرقة وارحام قد تقطعت .

« فانظروا يا معاشر المسلمين ماذا تفعل الفتنة والمعصية وكيف يدب الشيطان لها ويسعى فيها ويحتال بخديعته ومكره ولطف مسالكه حتى يلهبها ويشعلها ويرفعها من قلتها الى الكثرة ومن صغرها الى كبرها فانه انما يبدو الظفر على الولاة ثم يترامى الى الشكاة والسخطة والغضب وزين لهم القتال فبلغ الهلاك الاعظم والشد الاكبر بطرق امر صغير الخطر في الظاهر عظيم البلية في الباطن فلا يزال الرجل ينظر منهم الى قاتل ابيه واخيه وحميمه وذوي قرابته واهل مودته والنافع كان ثم تحمل العداوة في قلبه والضغينة العظيمة عليه ويستعد للنقمة منه وطلب الدخل عنده . فبثت تلك الضغائن في الابناء بعد الآباء فانظروا يا اهل الاسلام من اين دب الشيطان بلطيف مسالكه وعلى اي شيء ورد والى اي امر تسامى حتى عم بالمعصية اهل الاسلام عامة اه .

واستفدنا ايضاً من هذه الرسالة ان البلاد كانت تموج بالفتن اواخر عهد الخليفة



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مروان بن محمد الأموي وان عبد الحميد يريد بتأثير قلمه ان ينزع اهل الاقطار من التردي في مهالكها . وكم كتب من مثلها منذ نادى اهل خراسان بشعار العباسيين يا ثري ؟ . وما نظن الا ان مجموعة رسائله تبلغ اكثر من الف ورقة لا كما قال بعضهم . وقد عرفنا بهذا النموذج الضئيل الذي بقي من ذاك التراث العظيم ان صاحبنا كان بعيد النظر في السياسة شديد الغيرة على سلطان بني أمية عارفاً بما سيحل بالدولة وود لو يتحيل لها بمخرج ينجيها ولو بعض الشيء من المأزق الذي صارت اليه فأراد سيده ان يعمد الى الزواج السياسي ويتقرب من بني هاشم بالاصهار اليهم .

قال لمروان حين رأى علو امر بني العباس : أتتهمني يا امير المؤمنين فيك قال : لا . فقال له : أرأيت ابراهيم بن محمد بن علي أليس ابن عمك قال : بلى . قال : فاني ارى اموره تنبغ[1] عليك فانكحه وانكح اليه ، فان ظهر كنت قد اعلقت بينك وبينه شيئاً ، وان كفيته لم تُمْنَ بصهره . فقال : ويحك والله لو علمته صاحب الامر لسبقت اليه ولكن ليس هو بصاحبه فقال له : وما يضرك من ذلك وهو من القوم الذين تعلم ان الامر منتقل اليهم لا محالة وان الصواب ان تعلق بينك وبينهم شيئاً . قال مروان : والله اني لاعلم ان الرأي فيما تقول ولكني اكره ان اطلب النصر باحراح النساء .

وكان عبد الحميد يقول : اكرموا الكتّاب فان الله عز وجل اجرى ارزاق الخلق على ايديهم . وكان يقول : ان كان الوحي ينزل على احد بعد الانبياء فعلى بلغاء الكتاب . ومن غرر كلامه : القلم شجرة ثمرها الالفاظ . والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه « خير الكلام ما كان لفظه فخلاً ومعناه بكراً . ويروى انه مر بابراهيم بن جبلة وهو يكتب خطاً رديئاً فقال : أتحب ان يجود خطك قال نعم . قال : أطل جلفة قلمك واسمنها وحرف قطتك وايمنها . قال : ففعلت ذلك فجاد خطي . وذكر صاحب الصناعتين ان عبد الحميد كان اذا استخبر الكاتب في كتابه فكتب خبرك وحالك وسلامتك . فصل بين هذه الاحرف ويقول قد استكمل كل حرف منها آلته . ووقع الفصل عليه . وكان كثيراً ما ينشد :

---

(١) تثور وتفشو .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا خرج الكتاب كانت دُويّهم قسياً واقلام الدوي لها نبلا

ومما اختير له من الشعر وهو في طبقته مما لا يتناسب مع كتابته قوله :

ترحل ما ليس بالقافل واعقب ما ليس بالزائل
فلهفي على خلف قادم ولهفي على سلف راحل
سأبكي على ذا وابكي لذا بكاء مولهة ثاكل
فنبكي من ابن لها قاطع وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفتر عن عبرة لها في الضمير ومن هامل
نقضت غوايات سكر الصبا ورد التقى عن الباطل

ومن شعره :

كفى حزناً اني ارى من احبه قريباً ولا غير العيون تترجم
فاقسم لو ابصرتنا حين نلتقي ونحن سكوت خلتنا نتكلم

« الغيث صلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net